

رسالة الفصح لسنة ٢٠٠٢ التي وجهها غبطة البطريرك مار نصر الله بطرس صفير إلى الموارنة والمسيحيين واللبنانيين

"لا تخفن" (مر ١٦: ٦)

١- بهذه الكلمة خاطب الملاك النسوة اللواتي أتين في الاحد باكرا الى القبر، عند طلوع الشمس، ليحطن جسد يسوع، لقد ظنن ان الموت طواه كسائر الناس، وقطعن الامل من رؤيته حيا. وكن يقلن في نفسهن: "من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟" ولما اقتربن من القبر، رأين ان الحجر قد دحرج، وكان كبيرا جدا. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين متوشحا حلة بيضاء، فانذهلن. اما هو فقال لهن: "لا تخفن، أتظلين يسوع الناصري الذي صُلب؟ لقد قام، وليس هو هنا. هوذا المكان الذي وضع فيه".

٢- لا تخفن. ان من ظننتن انه مات، فهو حي. وهذه هي الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الايمان المسيحي. يسوع الناصري الذي مات على الصليب، قام من بين الاموات. لقد انتصر على الموت، وقهر قوى الظلام، وتغلب على الألم، وطرد الكآبة. ذلك ان زمن الفصح هو زمن الفرح الدائم الذي لا يقتصر على زمن الفصح، بل يرافق المؤمن طوال ايامه. لأن المسيح حي، فهو ليس كسائر الناس مر في هذا العالم ثم اختفى الى الابد، ولم يبق منه سوى الذكرى، وما ترك من مثل طيب، وقدوة حسنة. يسوع المسيح هو حي، وهو معنا، وقيامته لأسطع دليل على انه لا يترك من آمنوا به. انه حي في قلوبهم وفي الكنيسة.

٣- فهو، عندما مات على الصليب، اعطانا روح الحق والحياة. وهو باق في كنيسته: في الاسرار التي توزع على المؤمنين، وفي الطقوس التي تتعش ايمانهم، وفي العظات التي تتحدث عنه، وفي النشاط الذي يبديه روحه القدوس في النفوس. انه حاضر معنا وخصوصا في القربان الاقدس. ولهذا يعتبر القداس محور الحياة المسيحية. والقربان هو كالشمس، وبقية الاسرار كالنجوم التي تدور في فلكها، على ما قال المعلم الملائكي القديس توما الاكويني. وفي كل قداس نجد المسيح بكامله، اي الرأس والجسد الذي يتألف من المؤمنين اي الكنيسة، والمسيح هو الطريق والحق والحياة، وهو الوسيط بيننا وبين ابيه السماوي، على ما يقول بولس الرسول: "لأن الله واحد، والوسيط بين الله والبشر واحد، وهو ابن الانسان، يسوع المسيح". وفي المسيح نجد كل شيء، وخارج المسيح نجد الفراغ. واذا كنا نتجرأ على مخاطبة الأب السماوي بقولنا له: أبانا الذي في السماوات"، فلأن المسيح علمنا ان نصلي هذه الصلاة، ولأننا أبناء الله بالتبني، على ما يقول ايضا القديس بولس: "فأنتم ما أخذتم روح العبودية،

للمخافة، بل أخذتم روح منزلة البنين التي بها ندعو الآب أبانا. والروح يشهد لروحنا أننا أبناء الله.

٤- والمسيح يحيا في المؤمن. ومن حصل على نعمته تعالى، فقد حصل على عنصر الهي يقيم به. وهذا ما عبر عنه بولس الرسول بقوله الى أهل كورنتيا: "فان المسيح قد قام من بين الاموات، وصار بكر الراقدين. وكما ان الموت كان بانسان واحد، كذلك بانسان واحد تكون قيامة الموتى. وكما انه بآدم يموت جميع الناس، كذلك بالمسيح يحيا جميع الناس". وعلى المسيحي بالتالي ان يحيا بحسب حياة المسيح، ويشعر شعور المسيح، ويفكر تفكير المسيح، على ما نصح به بولس الرسول بقوله لأهل فيلبي: "وليكن فيكم من الافكار ما هو في يسوع المسيح. اذذاك يصبح في امكان المؤمن ان يقول مع هذا الرسول عينه: "فلست الآن انا الحي بل المسيح هو الحي في".

٥- قول الملاك للنسوة: "لا تخفن"، هو قول ما زال يتردد صداه حتى اليوم ليصل الينا. الخوف ما كان يوما من شيمة المسيحي، لانه حيثما وجد، فهو بين يدي الله. وهو يعلم ان المسيح معه يسكن في سر القربان الاقدس، وفي قلبه. وهو لا يتكل على حسابات البشر التي غالبا ما تكون مخطئة. لانها مبنية على حب الذات، وتهدف الى تحقيق المصلحة الخاصة الضيقة. انه يجعل متكله على الله الذي لا يرجو سواه، على ما يقول صاحب المزامير: "انتظرت الرب، انتظرته نفسي، ورجوت كلمته، انتظار نفسي للرب، أشد من انتظار الرقباء للصبح، والساهرين للفجر".

لبنان

٦- ان الاوضاع التي يمر بها لبنان تزداد حرجا يوما بعد يوم، رغم ما يبذل من جهود ومن اشاعة طمأنة رسمية. وهي تقضي بتناسي الحزبات الصغيرة، والاحقاد الدفينة، وجمع الصفوف، ولو كان بينها اصداد متنافرة، سعيا الى ايجاد حلول للمشاكل التي تتفاقم يوما بعد يوم، وقد تصبح عvisة على كل علاج او حل، بدل القاء التهم احدا على الآخر، او هذه الفئة على تلك. وفي الواقع اننا كلنا مسؤولون. أما الاتكال على الغير، فلا يجدي نفعاً. وقد طال الاتكال، ولم يأت بنتيجة، وبخاصة ان من ينفذ الى بواطن الامور، لا يمكنه الا ان يرى ان ما وصل اليه لبنان ليس فقط هو من فعل اللبنانيين، بل من فعل الوصاية المستمرة عليه منذ ما فوق الربع قرن، وهو مشلول الارادة، منقوص السيادة، معطل القرار، يؤمر فينفذ، ولا مناقشة، ولا تقليب وجهات نظر، ولا ابداء رأي، حتى لكأنه اصبح غائبا عن وعي شؤونه وشجونه. ونرى أولياء الشأن الدوليين يطوفون حوله، ويجتازون أجواءه، ليتجاوزوها

ويزوروا ما جاوره من بلاد المنطقة كبيرها وصغيرها، وهو محيد، كأنه غير موجود. وقد كان محور كل تحرك في المنطقة، وقبله أنظار العالم.

٧- لا يمكننا الا ان نحمد الله على انعقاد القمة العربية على أرضنا، آمليين في ان توفق الى حل مشكلة الفلسطينيين باعطائهم دولة تجمع شتاتهم وتعيدهم جميعا الى أرضهم، ولكن يبدو ان كل جدول اعمالها لن يتطرق الى البحث في لب القضية اللبنانية، وكأنه لم يعد للبنان لب قضية. وقد سبق لثلاث دول عربية وهي: المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية والجزائر ان تعهدت مواكبة اتفاق الطائف، والسهر على تنفيذ قراراته. وقد مضى على هذا التعهد أربعة عشر عاما، والوضع اللبناني يتدهور يوما بعد يوم اقتصاديا، واجتماعيا، وحتى عدليا وقضائيا، وليس من يسأل عن اسباب هذا التدهور، والشكوى عارمة من انقال الديون الباهظة، والضرائب الفادحة، والمزاحمة الظالمة، والهجرة المتنامية.

٨- ولكن لبنان، رغم كل المحن والمصائب التي حلت به، لن يعدم وسيلة لاستعادة حقه وموقعه بين الامم، وهو الذي تعود التمرس بالصعاب منذ عهد بعيد، وكما ظن بعضهم انه انتهى، عاد وانتفض واستعاد مقعده تحت الشمس. واذا تخاذل جيل من ابنائه، فان الاجيال الطالعة لا تلبث ان تحزم أمرها، وتستيقظ على نداء الحرية والكرامة، الايمان بالقضية نصف ربحها. واللبنانيون في مجملهم مؤمنون بقضيتهم، وقد بدأوا يسلكون الطريق التي تمكنهم من ربحها وتضمنها لهم.

أعاد الله عليكم، مقيمين ومغتربين، عديد أمثال هذا العيد، وشملكم برضاه وبركاته".

بكري لبنان

(الاثنين ٢٦/٣/٢٠٠٢)